Institute for Global Prosperity

استراتيجيات سبل العيش في رأس بيروت بعد 2019: تلبية الاحتياجات المعيشيّة في خضمّ الأزمة الاقتصاديّة

ورقة عمل

ميساء جلاد ورهف ظاهر ونيكولاي منتشيف

تشرين الأول 2024

PROCOL
المختبر التشاركي للإزدهار
Lebanon

الملخص

يعرض هذا التقرير نتائج كميّة ونوعيّة حول كيفيّة تعامل الأفراد مع التحدّيات الشديدة الناجمة عن الأزمة الاقتصادية والانخفاض الكبير في قيمة الليرة اللبنانية منذ عام 2019 في رأس بيروت، لبنان. وسط التضخم الهائل والاضطرابات الحرجة في توفير الخدمات الأساسية مثل الكهرباء والرعاية الصحية، واجه السكان صعوبات غير مسبوقة، تفاقمت بسبب القيود غير الرسمية على حركة رأس المال، التي فرضتها المصارف التجارية. من خلال الاعتماد على استطلاعات رأي كميّة ومقالات إثنوغرافيّة ومقابلات أجريت بين عامي 2021 و2022 في رأس بيروت، تستكشف هذه الدراسة كيف يتعامل الناس مع الأزمة الاقتصاديّة من خلال التحقق من استراتيجيات التكيّف التي يستخدمها السكان لتغطية نفقاتهم. وتؤكد النتائج التأثير الواسع النطاق للانهيار الاقتصادي على سبل العيش، مع ارتفاع معدلات البطالة، وتضاؤل القدرة الشرائية، وقصور الحماية الاجتماعية التي تزيد من تفاقم الأزمة. وإضافة إلى ذلك، تسلّط الدراسة الضوء على أن السكان يستخدمون ثلاث فئات رئيسية من استراتيجيات التكيّف: تغيير نمط الحياة، زيادة الاعتماد على الشبكات الاجتماعية وزيادة الاعتماد على المؤسسات. كما يؤكد التقرير أنه، وعلى الرغم من أن هذه الاستراتيجيات ضرورية للحفاظ على سبل عيش الكثيرين، إلا أن لها آثارًا جسدية وعاطفية واجتماعية هائلة. بالإضافة إلى ذلك، يسلّط التقرير الضوء على إحباط وخيبة أمل السكان من جراء هذه التجارب، ويؤكد الحاجة إلى استجابات سياسية تأخذ بالاعتبار حسابات سبل العيش، وتعطي الأولوية للتعافي الاقتصادي الشامل والحماية الاجتماعية وفرص العمل الهادفة. من خلال نقل أصوات وتجارب الأفراد المتأثرين بالأزمة، يساهم هذا البحث في صنع سياسات قائمة على أدلة، تهدف إلى معالجة التحديات المتعددة الأوجه، وتعزيز التعافي العادل والمستدام في لبنان. وفي نهاية المطاف، تدعو الدراسة إلى اتّباع نهج شامل للتعافي يتجاوز المقاييس الاقتصادية، لإعطاء الأولوية لسلامة وكرامة جميع أفراد المجتمع.

Institute for Global Prosperity

PROCOL
المختبر التشاركي للإزدهار
Lebanon

استراتيجيات سبل العيش في رأس بيروت بعد 2019: تلبية الاحتياجات المعيشيّة في خضمّ الأزمة الاقتصاديّة

ورقة عمل

ميساء جلاد ورهف ظاهر ونيكولاي منتشيف

تشرين الأول 2024

للاقتباس:

Mayssa Jallad, Rahaf Zaher, Nikolay Mintchev, 2024. Livelihood Strategies in Ras Beirut after 2019: Making Ends Meet in Times of Economic Disaster. London: Institute for Global Prosperity.

تصميم: ميساء جلاد

ISBN 978-1-913041-49-6

نبذة عن معهد الازدهار العالمي IGP

يقوم معهد الازدهار العالمي في الكلية الجامعية في لندن UCL بإعادة تصميم مفهوم الازدهار للقرن الحادي والعشرين، وتغيير الطريقة التي نتصور بها اقتصاداتنا ونديرها، وإعادة صياغة علاقتنا مع العالم. تتمثل رؤية IGP في بناء مستقبل عالمي مزدهر ومستدام، مدعوم بمبادئ الإنصاف والعدالة، ومتوافق مع رؤية واقعية طويلة الأمد لمكانة البشرية في العالم.

يقوم IGP بأبحاثًا رائدة تسعى إلى تحسين نوعية الحياة بشكل كبير لهذا الجيل والأجيال القادمة. تكمن قوة المعهد في الطريقة التي حالف بها الإبداع الفكري مع التعاون الفعال وتطوير السياسات. ومن الأساسي الطريقة التي يدمج بها الخبرات غير الأكاديمية في توليد المعرفة، وذلك من خلال المشاركة مع الحكومات وصانعي السياسات وقطاع الأعمال والمجتمع المدني والفنون والمجتمعات المحلية.

للمزيد من المعلومات يرجى الاتصال هنا: igp@ucl.ac.uk

عن بروكول

المختبرات التشاركية للازدهار (PROCOLs) هي علاقات تعاون مبتكرة بين الأوساط الأكاديمية والسياسات وعالم الأعمال والمجتمع المدني والمجتمعات المحلية. إنها تقود تجارب وتغيير الأنظمة بأكملها لتطوير مسارات مستدامة للازدهار في جميع أنحاء العالم. يوفر البحث الذي يتم إجراؤه في مواقع PROCOL فرصًا ممتازة للبحث التعاوني متعدد التخصصات المتوافق مع الاحتياجات المحلية وأصحاب المصلحة.

لدى IGP حاليًا ثلاثة PROCOLs في المملكة المتحدة ولبنان وأفريقيا. يعمل PROCOL Lebanon على تحقيق مستقبل شامل ومزدهر للمجتمعات المتأثرة من النزوح الجماعي. يركز PROCOL Africa على الازدهار الطبيعي والاجتماعي. يتحقق PROCOL UK عن العوامل السابقة والحاضرة والمستقبلية للازدهار في المملكة المتحدة.

المقدمة

يقدم هذا التقرير مجموعة جديدة من البيانات النوعيّة والكميّة حول محاولات التأقلم مع الظروف الاقتصاديّة السيئة، التي يعتمدها سكان لبنان بعد بدء تدهور قيمة الليرة اللبنانيّة عام 2019. إنّ السؤال المركزي لهذا التقرير هو «كيف يتمكن الأفراد من تأمين نفقاتهم (إذا تمكنوا أساسًا) في ظل أزمة اقتصادية كهذه؟»؛ والنتائج التي نعرضها هي حصيلة العمل الميداني في رأس بيروت – منطقة ثرية نسبيًّا ولكن فيها تفاوت اقتصادي – شمالي بيروت. تضمّن بحثنا الميداني استطلاعات رأي كميّة أجريت بين نيسان وتموز 2021، ضمن مشروع «دعم استقرار وازدهار الاقتصاد الكلي في عصر النزوح الجماعي» الممول من ليفرهولم (Leverhulme)، ومقالات إثنوغرافية مبنية على الزيارات المنزلية بين نيسان وأيلول 2021 (سبق النشر في Alawieh, 2022; Zaher, 2022a)، بالاضافة إلى المقابلات التي أُجريت بين آذار وتشرين الثاني 2022 خلال مشروع AHRC-MENASP المعنون «شبكات سبل العيش والتجربة السياسية في بيروت، لبنان» (راجع الملحق). خلال الفترة القصيرة لجمع البيانات الكميّة فقط، تغير سعر صرف الليرة اللبنانية في السوق السوداء من 11,750 ل.ل. للدولار الواحد، إلى 19,000 ل.ل.، حيث وصل في ذروته إلى 22,700 ل.ل.؛ ولكن بالرغم من حدّة التضخم في هذه الفترة، إلا أنه لم يكن سوى إشارة صغيرة لما ستؤول إليه الأمور: سيتجاوز سعر صرف الليرة في نهاية المطاف الـ 100,000 ل.ل. مقابل الدولار، ليصل في ذروته إلى 135,000 ل.ل. في آذار 2023 قبل أن يستقرّ نسبيّاً بين 88,000 ل.ل. و100,000 ل.ل. للدولار الواحد في أثناء كتابة هذا التقرير. انعكس الانهيار الاقتصادي في عدد من الاضطرابات البارزة في إمدادات وتوفر السلع والخدمات الأساسية – من نقص الأدوية والوقود إلى انقطاع الكهرباء لفترات طويلة (تصل أحيانًا إلى 23 ساعة يوميًّا)، وإغلاق المدارس نتيجة إضرابات المعلمات/ين. كما تعذّر توفر الخدمات والسلع الأساسية، أو توفّرت بأسعار باهظة، ما جعلها خارج متناول العديد من الأشخاص الذين كانوا قادرين على تحمل تكاليفها سابقًا. وفي ظل غياب التنظيم الحكومي، تفاقمت معاناة السكان مع فرض المصارف التجارية قيودًا غير رسمية على حركة رأس المال المرتبط بالودائع المصرفية، ما منع المودعين من سحب مبالغ كبيرة من المدّخرات من حساباتهم بالدولار الأمريكي إلّا بالليرة اللبنانية، وبسعر صرف يساوي ثلث سعر السوق السوداء تقريبًا (تمّ لاحقًا الإشارة إليه بشكل ساخر باسم سعر صرف «اللولار»، وهو اختصار لسعر «الدولار اللبناني»)[1] . فأدّت هذه الضوابط على رأس المال وعدم قدرة الناس على الوصول إلى أموالهم الخاصة، في نهاية المطاف، إلى سلسلة من عمليات السطو على المصارف، حيث طالب الأفراد بمدخراتهم تحت تهديد السلاح لتغطية تكاليف حالات الطوارئ الطبية أو احتياجات أساسية أخرى(Zaher, 2022b).

في ظل هذه الظروف الصعبة، تم جمع البيانات المقدّمة في هذا التقرير ضمن مشروعَين بحثيين مختلفَين للمختبر التشاركي للإزدهار (PROCOL) في لبنان، شارك فيهما مؤلفو التقرير. ضمن منهجية الأساليب المختلطة، تمحور المشروع الأول حول الوضع الاقتصادي وتأثيره على عملية صنع القرار الاقتصادي لأصحاب العمل والعمّال في رأس بيروت عام 2021. شمل البحث 689 استطلاع رأي لمقيمين من العمال، و309 استطلاعاً لآراء أصحاب عمل (جدول 1). وتضمّن الاستطلاع سلسلة من الأسئلة حول سبل العيش والرضا الوظيفي للعمال وخيارات التوظيف لدى أصحاب العمل، ولكن وبالإضافة إلى ذلك، تضمّن البحث جمع البيانات النوعيّة كالمقابلات والملاحظات الإثنوغرافية. كما تم جمع البيانات الكميّة والنوعيّة تبعاً لمنهجية البحث الاجتماعي المحلّي، حيث لعب الباحثون المحلّيون في رأس بيروت دورًا أساسيًّا في تصميم الاستبيان واختباره وجمع البيانات، إضافةً إلى كتابة النتائج ونشرها (للمزيد من المعلومات حول منهجيّة البحث الاجتماعي المحلّي، راجع Jallad & Mintchev, 2019; Jallad et al., 2021; Mintchev et al., 2022؛ للاطلاع على بعض المواد الإثنوغرافية حول سبل العيش التي نتجت عن البحث، راجع Alawieh, 2022; Zaher, 2022a).

أما المشروع الثاني الذي يرتكز عليه هذا التقرير، فيُعنى بالعلاقات والتقاطعات المختلفة بين تجارب سبل العيش من جهة، والهوية السياسية من جهة أخرى؛ وتتكون البيانات التي تم جمعها لهذا المشروع في عام 2022 من سلسلة من المقابلات حول علاقة الأفراد بمختلف الجهات المعنيّة السياسة منها وغير السياسية، والجهات التي يعتمدون عليها عند حاجتهم إلى الموارد الأساسيّة، وماهية العلاقة بين شبكات سبل العيش والشبكات أو المجتمعات السياسيّة.

قبل الانتقال إلى الاستنتاجات الرئيسية بشأن استراتيجيات سبل العيش والتكيّف، من الضروري أن نوضّح السياق، عبر عرض بعض نتائج الاستطلاع الاساسية في رأس بيروت، حيث يقيم ويعمل المشاركون. بحسب نتائج البحث، فإنّ 12.9٪ من العمّال في رأس بيروت عاطلون عن العمل، كما أن 28.2٪ من المقيمين يعانون من صعوبات بليغة في تغطية النفقات المنزليّة، ما يعني أن أجورهم لا تكفي للمدفوعات الأساسية، بما فيها الإيجار والماء والغذاء والكهرباء. إذ تضخّمت أسعار الغذاء والطاقة في لبنان عام 2023 بنسبة 11,300٪ و4,400٪ على التوالي، مقارنة بعام 2019 (UNOCHA, 2023). وعلى غرار ذلك، ارتفعت أسعار الكهرباء والمياه والغاز بنسبة 595٪ (Majzoub et al., 2023). وبالرغم من الاعتياد على دفع فاتورة كهرباء مضاعفة للكهرباء الحكومية (كهرباء لبنان) والمولدات الخاصة، إلا أن أزمة الوقود فاقمت الضغط على الأسر في لبنان، مما دفع الأسرة المتوسطة إلى إنفاق ما يقارب الـ 44٪ من دخلها على خدمات المولدات (Majzoub et al., 2023). لمواجهة الضغوط المالية الناتجة عن الأزمة، وفي ظل تفشي

1 «اللولار» مصطلح صاغه الاقتصادي اللبناني دان قزي.

البطالة وتدني الأجور، أفاد 34.2٪ من المقيمين بأنهم لجأوا إلى اقتراض الأموال، غالباً من العائلة والأصدقاء، في حين تلقى 16.4٪ منهم تحويلات مالية من أقاربهم في لبنان والخارج.

يمكن أن تُنسب معدلات البطالة العالية وانخفاض الأجور، التي عانى منها سكان رأس بيروت أثناء الاستطلاع وما زالوا يعانون منها حتى اليوم، إلى حقيقة أن الرواتب لم تتعدل بالتناسب مع معدلات التضخم؛ أي أن المؤسسات كانت تتصارع مع الانهيار الاقتصادي، بالإضافة إلى تكبدها للنفقات التي ارتفعت بشكل كبير أيضًا خلال الأزمة، وبالإضافة إلى أنّ توفّر الكهرباء العامّة اقتصر على بضع ساعاتٍ يوميًا، عانت من ارتفاع تكلفة المولدات الخاصة بشكل ملحوظ؛ على سبيل المثال، اضطرت معظم المصالح (78.3٪) للاشتراك في خدمات المولدات الخاصة الباهظة الثمن. وقد تضررت المصالح الصغيرة بشكل خاص نتيجةً لذلك، لدرجة أن ظاهرة

الوضع ضمن القوى العاملة	الحالة الوظيفية	عدد الأفراد الذين شملهم الاستطلاع	عدد الأفراد داخل/خارج القوى العاملة
القوى العاملة	موظف/ة	351	544
	مساهم/ة في مصلحة عائلية	7	
	عامل/ة مستقلّ/ة	42	
	غير موظف/ عاطل عن العمل	144	
خارج القوى العاملة	ربّات البيوت	65	145
	متقاعد/ة	42	
	في فترة الدراسة أو التدريب	35	
	غير ذلك	3	
إجمالي من شملهم الاستطلاع من غير أصحاب العمل		689	
إجمالي من شملهم الاستطلاع من أصحاب العمل		309	

جدول 1: استطلاع السكان في رأس بيروت، نيسان - تموز 2021، مشروع «دعم استقرار وازدهار الاقتصاد الكلي في عصر النزوح الجماعي» الممول من ليفرهولم (Leverhulme).

عمل المتاجر الصغيرة وغيرها من المؤسسات دون كهرباء لمعظم ساعات اليوم أصبحت أمرًا شائعًا. ويمكن لذلك أن يكون أحد التفسيرات المحتملة في أنّ 60.8% من الأجور في رأس بيروت تتراوح بين 1 و2 مليون ل.ل. بحسب البيانات المجموعة، (ما يعادل $54 و$106 على التوالي خلال تموز 2021، عندما كان الدولار الواحد يعادل 19,000 ل.ل.).

تفاقمت حالة انعدام الاستقرار والأمن الناجمة عن تزايد البطالة وانخفاض الدخل وتآكل الخدمات بسبب القصور في تدابير الحماية الاجتماعية. فقد أفاد 60.1٪ من السكان بعدم استفادتهم من الضمان الاجتماعي، بينما أشار 56.9٪ إلى عدم تغطية التأمين الصحي لهم، مما يضطرهم لدفع فواتير صحية باهظة في حالات الطوارئ الطبية، خصوصًا بعد الخصخصة شبه الكاملة للقطاع الصحي، واعتماد العديد من المستشفيات على الفوترة بالدولار الأمريكي. بالإضافة إلى ذلك، أفاد غالبية السكان (85.5٪) بعدم استفادتهم من النظام التقاعدي. لم تكن هذه النتيجة صادمة بالنظر إلى أن نظام تعويض نهاية الخدمة في لبنان (EoSI) ضمن الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، كما وصفه أحد تقارير السياسات الأخيرة، «غير فعّال بشكل ملحوظ» (Zoughaib & Saghir, 2022). كما أنّ النظام، بحسب ما يفيد التقرير، «متاح فقط للعاملين في القطاع الرسمي، وبالتالي يستبعد جزءًا كبيرًا من السكان العاملين في لبنان، ويزيد الضغط على أصحاب العمل والموظفين على حد سواء». وما زاد الطين بلّة كان انعدام قيمة المعاشات التقاعدية حتى لدى أولئك الذين يستفيدون منها نتيجة للتضخم، ما يعرّضهم لخطر الضغوط المالية والفقر.

المختبر التشاركي للازدهار في لبنان| ورقة عمل

تطرح هذه النتائج المتعلّقة بانخفاض جودة الحياة سلسلة من الأسئلة المهمة حول كيفية نجاة الناس من الأزمة، والاستراتيجيات والممارسات التي يلجأون إليها لتغطية نفقاتهم، والموارد التي يعتمدون عليها والتكاليف التي يواجهونها أثناء سعيهم للتكيف. إن الروايات التي نعرضها في هذا التقرير تشير إلى وجود مجموعة واسعة من الاستراتيجيات التي يلجأ إليها الناس للتكيف مع الضغوط الاقتصادية، وتندرج إجمالاً ضمن ثلاث فئات عامة: تغيرات نمط العيش، وزيادة الاعتماد على الشبكات، وزيادة الاعتماد على المؤسسات. وتُظهر البيانات أنّ كلًا من هذه الفئات الرئيسية متنوّعة وغير متجانسة داخليًا، أي أنها تتكون من ممارسات متعددة يتمّ استخدامها بشكل انتقائي، تبعاً للظروف والموارد المتاحة للأفراد بالاضافة إلى احتياجاتهم. كما أنّ هذا التقرير لا يتضمن مناقشة امتيازات الدخل بالدولار، ولا يتناول الأفضليات الموروثة مثل الإيجارات القديمة، والتي غالبًا ما أصبحت تمثل خطوط الدفاع الأخيرة بالنسبة للبعض[2] .

ومع ذلك، يجب تجنب التعامل مع إجابات الأسئلة المتعلقة باستراتيجيات التكيّف والتأقلم كنقطة البحث والتحليل النهائية. حيث يلي ذلك مجموعة أخرى من الأسئلة الأساسية التي ينبغي طرحها، حول قيمة وأهمية فهم استراتيجيات التأقلم: ما أهميّة تدوين وقائع هذه الاستراتيجيات؟ ماذا نستطيع أن نستخلص من هذه الاستراتيجيات بشأن القدرات المتاحة والاحتياجات العاجلة التي يجب أن تُعطى الأولوية لها؟ وكيف يمكن أن تُطلع وتُساهم في أنواع جديدة من الحوكمة وإعادة توزيع الموارد ومبادرات التعافي التي يتوجب تنفيذها؟ إن جميع هذه الأسئلة السياساتية تتعلق بالمسارات التي يمكن من خلالها للأبحاث حول تجارب سبل العيش المتغيّرة أن تؤدي إلى تأثير اجتماعي ملموس.

على الرغم من أن الأبحاث المتعلقة بعملية صنع السياسات في لبنان تشير إلى أن دوافع السياسات الاجتماعية تعود بحد كبير إلى مصالح الأحزاب السياسية التقليدية، بدلاً من المصالح الاجتماعية والاقتصادية للشعب، إلا أنّ إمكانية التغيير السياساتي المبني على الأدلة، والهادف لتحسين جودة الحياة، لا تزال موجودة. ويشكل النواب والوزراء وموظفو الخدمة المدنية ومنظمات المجتمع المدني وغيرهم بيئةً من الجهات الفاعلة في مجال السياسة، ولكل منها مصالح ودوافع متفاوتة، فضلًا عن صلاحيات مختلفة لإحداث تغيير ما. فحتى لو كانت الانقسامات وحالة الشلل والمحسوبية السياسية شائعة، لكنها ليست مطلقة، ويتمّ تحدّيها

2 تستفيد بعض الأسر ذات الدخل المنخفض من الإيجارات القديمة أو مساحة المعيشة الموروثة بالرغم من أنها غالباً ما تكون غير قادرة على دفع تكاليف الصيانة والبنية التحتية، مما يزعزع امتيازاتها نظرًا لخطر اختفائها في أي لحظة. ذكرت ياسمين، وهي ثمانينية تعيش في رأس بيروت: "الله يرحمه جوزي ما خلفلي شي، ما خلفلي مصاري لعيش منها. ما عندي شي إلا رحمة الله. هو هون الملك لعمي، أنا ماخدة إبن عمي. ما مندفع اجار، بس كهربا وماي."

	النسبة
البطالة (الصعيد الوطني)	11.4 ٪ (ILO, 2020)
البطالة بين العاملين في رأس بيروت	12.9 ٪
سكان يواجهون صعوبة كبيرة في تغطية نفقات الأسرة	28.2 ٪
سكان دون ضمان اجتماعي	60.1 ٪
سكان دون تأمين صحي	56.9 ٪
سكان دون مخطط تقاعدي	85.5 ٪
سكان يقترضون الأموال في عام 2021	34.2 ٪
عمّال يرغبون بتغيير وظائفهم	51.0 ٪
↓عمّال يرغبون بتغيير وظائفهم للحصول على رواتب أفضل	72.3 ٪

جدول 2: بيانات كميّة جمعت في «استطلاع العمّال»، رأس بيروت، نيسان - تموز 2021، مشروع «دعم استقرار وازدهار الاقتصاد الكلّي في عصر النزوح الجماعي» الممول من ليفرهولم (Leverhulme) (يشير ↓ إلى أن الرقم يمثل نسبة مئوية فرعية من النسبة الموجودة في الخليّة أعلاه)

مؤسسات ذات مدفوعات متراكمة/مستحقّة	27.5 ٪
↓ مؤسسات ذات إيجارات (> 3 أشهر) كدفعات متراكمة	31.5 ٪
مؤسسات مشتركة في خدمات المولدات	78.3 ٪
مؤسسات لم تفصل العمال	69.4 ٪
مؤسسات لا تخطط لفصل العمال	92.8 ٪
مالكون يفكرون في بيع مؤسساتهم	22.8 ٪
↓ مالكون يفكرون في بيع مؤسساتهم لأسباب اقتصادية	86.2 ٪
↓ مالكون يفكرون في بيع مؤسساتهم بسبب الأرباح غير الكافية	49.2 ٪

جدول 3: بيانات كميّة جمعت في «استطلاع أصحاب العمل»، رأس بيروت، نيسان - تموز 2021، مشروع «دعم استقرار وازدهار الاقتصاد الكلّي في عصر النزوح الجماعي» الممول من ليفرهولم (Leverhulme) (يشير ↓ إلى أن الرقم يمثل نسبة مئوية فرعية من النسبة الموجودة في الخليّة أعلاه)

الشكل 3: فئات استراتيجيات التأقلم في رأس بيروت

باستمرار سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، داخل البرلمان وخارجه. في الواقع، شهدت انتخابات 2022 دخول ثلاثة عشر نائبًا من غير المنتمين إلى الأحزاب التقليدية إلى البرلمان، ما يشير بوضوح إلى أن النظام ليس عصيًّا على التحوّل (Zaher 2022b). وتشكّل الأبحاث والأدلة موردًا قيمًا في هذا السياق، وإن كان بغياب عملية تشاور وتضمين منظّمة في مقترحات السياسات: «أفاد المشاركون بشكل مباشر في عملية صنع القرار في لبنان بأنهم استشاروا الأدلة والخبراء في عملية صنع السياسات. ومع ذلك، يُلحظ غياب أي نمط لاستخدام هذه الأدلة في عملية صنع السياسات (El-Ghali & Baalbaki, 2017: 18). فعلى الرغم من عدم وجود هيكل تنظيمي، تبقى للأبحاث أهميّة جوهرية في المشاورات السياساتية، حتى وان كانت وتيرة التغيير بطيئة وتفتقر إلى اليقين ومليئة بالعوائق؛ إذ أنها أساسٌ لاستكشاف أفكارٍ جديدة يمكن أن تنجح على مستوى السياسات الحكومية، كما على مستوى عمل الجهات المعنية الأخرى كالبلديات والمنظمات غير الحكومية ورواد الأعمال.

إحدى النقاط الرئيسية التي نأمل أن نوضّحها من خلال الأدلة السردية التي نقدمها في هذا التقرير، هي أن مناقشات السياسات يجب أن تشمل أصوات وخبرات أفراد الشعب، بدلاً من الاعتماد على المعرفة والخبرة المتخصصة حصرًا. لقد جعل حجم الأزمة في لبنان والانكماش الهائل للاقتصاد من النمو الاقتصادي أولوية حكومية. قد تكون السياسة التكنوقراطية للاقتصاد الكلّي الهادفة لنمو إجمالي الناتج المحلّي (GDP) مناسبة لبعض الأهداف مثل استعادة المكانة الائتمانية الدولية للبنان أو تثبيت قيمة العملة (Gharib et al. 2023)، إلا أنها إن لم تكن شاملة فستشكّل، إضافة إلى ذلك، مخاطر عجزٍ ديمقراطي، حيث تؤدي الفجوة بين النمو الكلي والواقع

المعيشي لأفراد المجتمع إلى توليد السخط وتقويض الثقة بالنظام الحكومي (see Woodcraft et al. 2023). وتوضح روايات استراتيجيات سبل العيش المعروضة في هذا التقرير، بوضوح شديد، أنّ صراعات سبل العيش وخيبة الأمل تجاه النخب السياسية والاقتصادية يسيران جنبًا إلى جنب - وهي نقطة نسلّط الضوء عليها في الخاتمة. لكنّ هذا الارتباط ليس جديداً، ولا يقتصر على فترات الانكماش الاقتصادي، بل يشكّل سمة مزمنة للاقتصاد اللبناني غير المتكافئ إلى حدّ كبير، حيث لا يرى الناس أنفسهم كمستفيدين من السياسات الاقتصادية. فكما تُظهر ليديا أسود (2023) في عملها حول اللامساواة في لبنان، اتّسمت فترة النمو الاقتصادي من عام 2005 إلى عام 2014 (ما يسمى بـ «المعجزة الاقتصادية») بالتفاوت الشديد واستيلاء النخب على الثروات، ما منع غالبية السكان من الاستفادة المجدية من الانتعاش الاقتصادي. خلال هذه الفترة، تلقّت طبقة الـ ٪1 العليا من الأفراد ما يقارب الـ ٪25 من الدخل بينما تلقّت الـ ٪10 العليا ٪55 من الدخل. علاوةً على ذلك، حصل النصف الأدنى طبقيًا من سكان لبنان على ما يقارب الـ ٪15 من الدخل أي ما يزيد قليلًا عن حصّة الـ ٪0.1 العليا فقط (Assouad 2023). وفي سياق اللامساواة الهيكلية، يُلحظ أن خطاب السياسات التنموية لا يقدّم الكثير لأغلب الناس، كما أن قدرته على إلهام الآمال في مستقبل أفضل محدودة للغاية. فالنمو الاقتصادي من دون المساواة والشمول يُعدّ نمواً فارغًا، وكذلك السياسة الاقتصادية التي تتجاهل تجارب الناس وأولويّاتهم. إنّ ربط السياسات بتجارب وأصوات أفراد الشعب هو أمر ذو أهمية أخلاقية للحكم الديمقراطي، بالإضافة إلى كونه فعّالاً تقنيًا لتحديد ومعالجة القضايا الأكثر إلحاحًا التي يواجهها الناس. وبالتالي، فإنّ أيّ سياسة تهدف إلى تحسين جودة الحياة يجب أن تأخذ أصوات الناس بالاعتبار كعنصر أساسي في تحديد عملية صنع السياسات ونتائجها(Moore & Mintchev 2023).

ولكن ماذا نستخلص من البيانات؟ يمكن استخلاص العديد من الاستنتاجات والدروس. ولأهداف هذا التقرير، نود أن نسلّط الضوء على نقطة واحدة على وجه الخصوص، وهي أن العديد من استراتيجيات التكيّف التي نلاحظها في أوقات الأزمات الحادّة كهذه تكون مكلفة للغاية، ليس فقط على الصعيد المالي (بحيث ينفق الناس نسبة أكبر بكثير من دخلهم على الاحتياجات الأساسية)، ولكن أيضًا على صعيد الوقت والطاقة والعمل العاطفي والتكاليف الاجتماعية والمادية التي تنطوي عليها العملية. أي أنّ التكيّف، بمعنى آخر، عملية مرهقة وتستغرق وقتًا طويلًا، كما أنها مهينة ومحبطة ومضرّة نفسيًا وجسديًا، ما يعيق قدرة الأفراد على المشاركة الفعّالة في المجتمع، وبالتالي فهي غير مستدامة على المدى الطويل. كمثل بسيط، يولّد العجز في الوصول إلى الكهرباء أو الماء أو التدفئة أو الغذاء تبعات معروفة جيدًا على النظافة والتغذية والصحة البدنية والعقلية (see Mintchev et al., 2019: 118)، وكذلك الحال مع الحاجة إلى تخصيص يوم كامل للبحث عن الأدوية الأساسية فقط، إضافةً إلى الغضب والإحباط والخيبة التي تنتج عن احتجاز مدّخرات الأفراد عبر تدابير الرقابة على رأس المال، في غضون تراكم الفواتير.

إنّ لهذه النقطة الأخيرة تداعيات مهمة عند التفكير بالشكل الذي قد يأخذه التعافي العادل اجتماعيًا واقتصاديًا. فإذا كان تحمّل عامّة الشعب لعبء التكاليف المتعددة جزءًا من الظلم الناجم عن الأزمة – ليس فقط من الناحية المالية، بل وأيضاً من حيث الوقت والعمل العاطفي والصحة البدنية والعقلية – فكيف يمكن تخفيف هذه التكاليف واستردادها بطريقة عادلة ومنصفة؟ في رؤيتنا، إذا تجاوزت تكاليف الأزمة التكاليف الاقتصادية أو المالية، فينبغي ألّا تقتصر الحلول على العوامل المالية حصرًا، بل أن تتضمن مفهومًا أوسعَ للتعافي، يرتكز على الوظائف ذات الأجر المعيشي، بالإضافة إلى الخدمات الأساسية التي تستعيد قدرة الأفراد على العمل اجتماعيًا واقتصاديًا كأعضاء يتمتعون بالكرامة في المجتمع (راجع Moore 2021; Moore & Boothroyd 2023: 13; Moore et al. 2023). لابد للتعافي الاقتصادي العادل والإصلاحي التعويضي المستدام في الأمد البعيد أن يأخذ بالاعتبار العوامل الاجتماعية والعاطفية والسياسية التي أدت إلى تفاقم الضغوط خلال الأزمة الحالية. فالوظائف المفيدة ذات الأجر المعيشي التي تمنح الناس الاستقلال والاستقلالية والخدمات الموثوقة والميسورة التكلفة، والمساحات العامة المناسبة للعيش والتي تعزز شعور الانتماء إلى المجتمع، والحكم الذي يلهم الثقة بالمؤسسات العامّة، والشعور بالانتماء والفخر بكون الفرد جزءًا من المجتمع، ليست سوى بعض الأمثلة على التدابير التي يمكن أن تسهم بالتعافي من الأزمة الحالية وتخفيف الضغوطات التي يواجهها الكثير من الأفراد أثناء مواجهة تحديات الحياة اليومية.

1. تغيّرات نمط العيش

تغيير نمط العيش هو تعديل في الممارسات اليومية، بما يسمح للذين يعيشون في رأس بيروت المثقلة بالأزمات بالتعامل مع الصعوبات المالية. وتشمل هذه التغيرات ممارسات كترتيب أولويات الحاجات الأساسية والاعتماد على المنتجات البديلة واللجوء إلى وظائف متعددة والتهديد باستعمال العنف.

1.1 ترتيب أولويات الحاجات الأساسية (التقشّف)

أجبرت الأزمة الاقتصادية والضغط الذي خلّفته على سبل العيش الكثير من الناس على التركيز على تحديد أولويات احتياجاتهم الأساسية وتأمينها. فأصبح الغذاء والدواء الآن من الأولويات، بحيث يتخلى السكان عن الخدمات الأخرى لتأمين هذه الاحتياجات

الأساسية. أعربت إحدى النساء عن هذا الشعور على النحو التالي:

> أولادي بيلمو من بعض وبيدفعولي. أنا قلتلن هلأ بعيد الأم ما حدا يجبلي شي، عطوني مصاري بصمدن بجيب فيهن دوا (ياسمين[3]).

ولجأ السكان إلى تغيير وجباتهم الغذائية لجعلها أقلّ تكلفة، كاستخدام المؤن غير القابلة للتلف وزراعة الأعشاب للاستخدام الخاص، واستبدال المتطلبات الغذائية الأساسية بمواد أكثر إشباعاً:

> [...] منقلي بيضة إذا قدرنا نجيب بيض، بعد في شوية مربى من أيام الخير منمسح الخبزة شوي (بيسان).

> إلي ما بياكل لحوم ودجاج ما في بيشبع فبياكل خبز حاف (بيسان).

ومع ذلك، كان لدى البعض خيار التخلي عن شراء الخبز لتجنب الطوابير التي تتشكل في المخابز قبل ارتفاع الأسعار مباشرة. ارتفعت أسعار المواد الغذائية بشكل كبير ويحاول المستهلكون إنفاق ما لا يزيد عن اللازم على احتياجاتهم الفورية. كما يتم إعطاء الأولوية للوجبات المطبوخة في المنزل على المطاعم ويتم تجاهل الرغبات أو تقنينها:

> أنا بفضل ما جيب خبز وما إنهان. [...] كانت أمي تنزل عند الخضرجي تجيب الخضرة بالكيلو، هلأ لا، بالحبّة. ما في بقى الواحد يدلع حاله بقى خلص [...]. بدل ما روح أنا عمطعم اتعشى وانبسط وطول الجمعة قاعد ما آكل، لا، خليهن بجيب لحمة وكذا. [...] جاي عبالي أكل جبنة! يعني كنت تجيبي قشقوان، حلوم هلأ بالنسبة إلي ما بجيب إلا دبل كريم عالبيت. بنتي إجت من تركيا جابتلنا 2 كلغ قشقوان، رخيص مش غالي هونيك. إيه، عم نتقن فيهن، منتسلى فيهن. ليكي، إلي بده يكفي الحياة بده يشد ايده (المختار).

تخلت بعض الأسر عن الأجهزة الأساسية مثل البرادات/ الثلاجات:

> إذا بدي إتحمم بسخّن بالطنجرة، ما فارقة معي. بعبّي التلفون أنا وهون بالمحل. بس ماي ما فيك بلا كهربا. ما بدي برّاد، شو عكترة الأكل؟ صاير منظر (بيسان).

كما اضطر آخرون إلى التخلي عن الكهرباء في المنزل تماماً. كما قالت سالي، التي تملك صيدلية في الحمرا مع زوجها محمود:

> بعرف كتير ناس مش قادرين يدفعوا، فقاعدين بلا كهربا (سالي).

وحيث ارتفع سعر الغاز أيضًا، عمد البعض إلى تقنين استخدام الغاز للطهي:

> منلفّ ساندويش زعتر أو منغلي حبة بطاطا بس منخاف نخلّص قنينة الغاز (بيسان).

1.2 التقليص من الإنفاق الفاخر

اضطرّت الأسر التي تحظى بأوضاع ماديّة أفضل إلى تعديل إنفاقها أيضاً. فلم تعد العديد من الأسر قادرة على تحمل تكاليف العمالة المنزلية في بيوتهم، ولذلك أخذت ربّات البيوت على عاتقهن إضافة التنظيف إلى مهامهن اليومية. هذا ما نقلته علويّة عن ربة المنزل والمهندسة العاطلة عن العمل ناريمان:

> ذكرت السيدة ناريمان أن هذه هي السنة الأولى التي تقوم هي بنفسها بالأعمال المنزلية بعدما غادرت عاملتها المنزلية البلد بسبب الأزمة الماليّة وانهيار العملة. كما أنها شدّدت على أنّ جميع جيرانها لم يجددوا عقود العمل مع العمال المنزليين غير اللبنانيين، بما فيهم جارها الذي كان يشغل منصبًا حكوميًا رفيعًا في السابق (ملاحظات ميدانية من مقابلة مع ناريمان، Alawieh, 2022:13).

3 تم استعمال أسماء مستعارة للمُقابَلين في هذه الورقة لضمان سرية الأشخاص المعنية

ولقضاء وقت الفراغ، أصبح الناس الآن يختارون الأنشطة المجانية مثل المشي على الكورنيش. أما الأكثر حظاً، فاستبدلوا رحلاتهم السنوية إلى الخارج بـ «السياحة المحليّة»:

> كنا كل سنة نسافر عبلد جديد مع الأولاد، بس هلا مستحيل... بدل السفر عم نجرب نعمل رحلات سياحيّة بلبنان من وقت لوقت (نهلة).

1.3 الاعتماد على البضائع والعلامات التجارية البديلة

تعتمد استراتيجية التكيّف الرئيسية على تغيير الأسر لخياراتها وكمياتها الاستهلاكية. إنّ الاعتماد على المنتجات المحليّة أو الإقليمية في الدواء والغذاء والمياه يعني أنّ الناس قد تكيفوا مع العلامات التجارية أو أسماء المنتجات البديلة، والتي غالباً ما تكون أقل تكلفة من المنتجات «ذات العلامات التجارية». وقد أدرك سالي ومحمود هذا الاختلاف وربطا الميل السابق لشراء العلامات التجارية "المعروفة" بنوع من التباهي لم يعد بامكان الزبائن تحمل تكلفته:

> كان بالأول اللبناني مفزلك وبيسأل عن brands [علامات تجارية] هلا شو ما كان مهم الأرخص، اللبناني بتهمه المظاهر (سالي).

شراء الدواء من الأسواق المجاورة كسوريا وتركيا يشكّل استراتيجية إضافية، لكنه يتطلب من الأفراد أو معارفهم السفر إلى هناك:

> بالليل باخد حبة إسما لزيكس، صرلي 20 سنة باخدا. جبت من سوريا متلها أرخص. صهري كافل واحد ليشتغل هون، بس يروح بيجيبلنا (ياسمين).

قالت إحدى المشاركات في المقابلات إنها اعتمدت أيضًا على بديل كيميائي أرخص لأن المنتجات الطازجة أصبحت باهظة الثمن:

> بحلف يمين التبولة يمكن صرلي سنتين مني ذايقتها ببيتي. البندورة غالية والحامض غالي. أنا بحط ملح الحامض هلا بالإشيا اللي بدي إعملها، حامض ما حدا في يشتري (بيسان).

1.4 الاعتماد على تعدد الوظائف

يعتبر البحث عن وظائف متعددة بناءً على مهارات الفرد استراتيجيّة أخرى من استراتيجيّات التكيّف، بحيث أنها تنوّع مصادر الدخل، بالإضافة إلى تقديم شبكة أمان في حالة فقدان إحدى الوظائف. فتتذكر ظاهر في ملاحظاتها الميدانية مع ديانا، ربّة منزل سورية في العشرينات من عمرها:

> أخبرتني أنه بعد إعادة فتح المطاعم، عاد زوجها إلى وظيفته لكنه يعمل الآن أيضًا في وظيفة مؤقتة أخرى... لأنّ المطعم الذي كان يعمل فيه لم يغيّر راتبه (ملاحظات ميدانية من المقابلة مع ديانا، Zaher, 2022a: 12).

كما أفاد أحد أصحاب العمل، وسام، لعلويّة، أنه أبقى متجره مفتوحاً فقط لدعم موظفيه كشكل من أشكال التضامن الاجتماعي:

> كان يعمل كصحافي في الصباح ومصفف شعرٍ في المساء. [...] وكان أحد أسباب الوعكة الاقتصادية التي واجهها اضطراره لدفع الايجار بالدولار في حين أن زبائنه يدفعون له، طبعاً، بالليرة اللبنانية، مما جعل الحفاظ على المصلحة صعباً للغاية. لكن السبب الوحيد الذي يمنعه عن الإغلاق إلى الآن هو وجود موظفَين يعملان لديه ويحتاجان بشدة إلى وظيفتيهما. لم تكن مصلحة الحلاقة مصدر دخله الوحيد، لذلك لم يكن انخفاض الإيرادات مشكلة كارثية بالنسبة له (ملاحظات ميدانية من المقابلة مع وسام، Alawieh, 2022: 17).

1.5 ممارسات التخزين

تسببت ممارسات التخزين خلال الأزمة بنقص حاد في الأدوية والمنتجات الأساسيّة المهمّة (Amnesty International, 2023). وقد تسببت ممارسات التخزين على مستوى الأسرة والشركات بأزمة نقص الأدوية وتفاقمها بشكل مستمر. على مستوى الأسرة، ذهب البعض إلى التجوّل في أنحاء البلاد لتأمين أكبر قدر ممكن من إمدادات الأدوية التي يحتاجون إليها لتجنب نفادها:

> مثلاً، طلع خبر إنه بدن ينقطعوا الأدوية. العالم اللي عندها ناس بالبيت بتاخد أدوية دايمة، إذا قادرة مالياً، صارت تركض لتجمع أدوية بغض النظر إذا عالم تانية ما راح تقدر بسبب هالشي (كارن).

في المقابل، حققت بعض الشركات والمصالح أرباحاً من شراء الأدوية والسلع بأسعار مدعومة وبيعها بالسعر الجديد بعد ارتفاع السعر. وكان هذا سبب طوابير البنزين الشهيرة في صيف 2021:

> في ناس عملوا مصاري ليوم المصاري من ورا الهيمنه، وين الدولة؟ بدل ما الدولة توقف وتستلم المواضيع بتتصرف كأنها مش مشكلتها (المختار).

كما قام بعض بائعي المواد الغذائية بزيادة الأسعار دون تفسير منطقي، أما المستهلكون فلم تتمّ حمايتهم من الزيادات الباهظة في الأسعار:

> [صاحب الدكان اللي بروح لعنده] وقت كان الدولار ب40،000- باعني ايها للمرتديلا ب88،000- ليرة، مبارح رحت لا جيبها، ب120،000- ليرة. ليش؟ صار الدولار ب80،000- ليرة لدوبلتها؟ ما صار وطلع، نزل. بتقولي له نزل، بقول أنا شاريها عالغالي. يا خيي خليها عسعر الغالي، ما بدك تنزل، منيح، بس لش عم تزيد؟ الجشع هالك العالم (بيسان).

1.6 التهديد بالعنف في لحظات اليأس

إن اللجوء إلى التهديد بالعنف هو استراتيجية أخرى للتعامل مع الأزمة. وقد أصبح ذلك واضحاً بالتحديد مع سلسلة عمليات الاحتجاز/ السطو على المصارف التي حاول من خلالها المودعون استرداد مدخراتهم من البنوك، وهو ما لم يتمكنوا من القيام به بالطرق الرسمية نتيجة لتدابير مراقبة رأس المال (Zaher, 2022b). تمّ القيام بمعظم عمليات الاحتجاز نتيجة للنفقات المستعجلة الملحّة كالحاجة إلى دفع تكاليف العلاج الطبي لأحد الأقارب. ونظراً لشيوع خيبة الأمل العامة تجاه الحكومة، رأى العديد من الناس في عمليات الاحتجاز إجراءات مبررة بسبب الضوابط غير العادلة على رأس المال والحكم الفاشل. فشعر الناس بالعجز عن إحداث تغيير منهجي، ورأوا أن القوة والعنف هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن من خلالها إحداث تغيير حقيقي. وقد عبّر أحد الأشخاص الذين تمت مقابلتهم عن ذلك من خلال الزعم بأن انتفاضات أكتوبر لم تنجح بسبب غياب العنف عنها:

> برأيي الثورة شي ثاني كليّاً، هي إنه تقدر توصل لحدا وتعمل تفاهم معه. إذا هالشي ما نجح، لازم نستعمل العنف. اللي عملوه ما كان عنف، بالنسبة إلي، بدي حقوقي وبعرف كيف أوصللها (مجد).

2. زيادة الاعتماد على الشبكات الاجتماعية

الاعتماد على الآخرين للوصول إلى المساعدات هي الآلية الأكثر حضوراً خارج إطار الأسرة. في رأس بيروت، ٪44.2 من العمال يقترضون الأموال. ومن بين الذين يقترضون الأموال، يتمّ الاقتراض بشكل رئيسي من الأصدقاء والعائلة (٪89.5). كما أوضح أحد المُشاركين في المقابلة:

> إذا مش قادرين مالياً، في عالم عم تقترض أوعم تطلب وتتدين [من العالم اللي بيعرفوها] للدوا حتى لو عندن أدوية بالبيت (كارن).

2.1 الاعتماد على العائلة والأقارب

2.11 أفراد العائلة الموجودون في لبنان

في لبنان، وبسبب المشهد الاقتصادي المتغيّر الذي أدى إلى انخفاض قيمة الليرة اللبنانية واحتجاز أموال المودعين في المصارف، توجد فوارق اجتماعية حتى بين أفراد الأسرة الواحدة. تكون المساعدات العائلية على شكل مساعدات نقدية وغذائية، بالإضافة إلى الطبابة وتوفير الرعاية الصحية من خلال التأمين المشترك وغيرها.

> بيبعتلي خيي شوية زيتون، بيبعتلي سفرجل، باكل حبة حبتين أوقات (بيسان).

هون تحت بطابق، بنت بنت حماي مبارح طلعتلي 4 أقراص فلافل وشقفة بندورة (ياسمين).

يمكن لبعض العائلات أن تكون جزءاً من الجمعيّات العائليّة أيضاً، وتسعى هذه الجمعيات إلى مساعدة الأعضاء الغير ميسورين من حاملي اسم العائلة:

رئيس الجمعية العائلية مكرس حاله ليجيه مصاري من [الجزء الميسور من العيلة] وبساعد فيها الجزء الأقل حظاً من العيله بالطبابة، تعليم، دوا بقدر ما إستطاع. أية حالة من [العيلة] بكون السباق بمساعدته (المختار).

مع أن العائلة تحظى بالثقة الأكبر كمصدر لتلقّي المساعدات، إلا أن الديون المستحقة لهم، في بعض الأحيان، تكون كبيرة جداً بحيث يصعب سدادها.

مبارح خربت سيارتي، كان في عطل بالموتور. جبنا واحد يصلحها، كلفني $700 عليها، تدينتن من خيي التاني كرمال ما فيني أعمل شي بلا سيارة. [...] هلأ ما بعرف كيف بدي ردّن (فؤاد).

غالباً ما يتمّ تقديم الدعم بأشكاله المختلفة مقابل هذه المساعدات المالية:

لأدويتي، أنا بنتي حاطتني عإسمها بالضمان، هي بتجبلي. ابنها من الساعة 1 تقريباً معي وبنتها الساعة 4 بروح بجيبها. أنا بساعد بنتي وبنتي عم تساعدني، لو ما بنتي أنا ما بقى فيي عيش. بيطبخوا بآخر الجمعة هي وجوزها وبجيبولي معن أكل. بتجبلي دواي وبتشوف شو ناقصني، شو ما بدي بتعطيني. وأنا بساعدها باولادها. العيلة ما إلي غيرها (بيسان).

2.12 أفراد العائلة في الاغتراب (التحويلات الماليّة)

غالبا ما يتم الاعتماد على أفراد الأسرة في الخارج، عند توفّرهم، لتأمين سبل العيش، بحيث تعتبر التحويلات المالية مصدراً رئيسياً للدخل في لبنان. في عام 2022، أظهر استطلاع القوى العاملة أن 15٪ من الأسر في لبنان كانت تعتمد على التحويلات المالية من غير المقيمين، وما يسجل ارتفاعاً من 10٪ في 2018-2019 (Diab, 2022). في رأس بيروت، تلقى 14.2٪ من السكان أموالا من الخارج في عام 2021. منذ بدء الأزمة في عام 2019، برز عدد لا يحصى من مكاتب تحويل الأموال (OMT) في جميع أنحاء لبنان، وغالباً ما تعمل هذه المكاتب كعدادات للصرافة أيضاً. فاقم التضخم وانخفاض قيمة العملة من حجم الدعم المطلوب الآن مقارنةً بالسابق، ولكن في الآن نفسه سمح للمقيمين في الخارج بإرسال كميات أصغر من الأموال مع الحفاظ على قدرتهم على تقديم المساعدة الكافية لعائلاتهم:

بالزمانات، العالم كانوا يبعتوا لأهلن مصاري بقيمة 500-$1000، هلا 50-$100 بتكفي للأهل يعيشوا، فنقصت مش زادت من ورا الوضع (محمود).

يُنظر إلى الأشخاص الذين يتلقون تحويلات مالية أو يكسبون المال بالدولار أو يزورون لبنان كمغتربين على أنهم فئة جديدة من «الأغنياء»، بحيث أنهم يتصرفون ويستهلكون بشكل مختلف عن بقية سكان لبنان:

هلأ بتنزلي عالمطاعم بتلاقيها مفولة. بتنزلي بتتغدي إنت وعيلتك ب3--4 ملايين ليرة، طب شو هيدا؟ هيدي الطبقة إلي عم يجيها مصاري من برّا (المختار).

كما أن لأفراد الأسرة في الخارج دورٌ في تأمين الأدوية غير المتوفرة أو باهظة الثمن في لبنان:

مرتي بتاخد دوا إسمه ألفا1- مثلاً، مش موجود بلبنان. قرابتي بتركيا ما عم يلاقيه كمان. اختي بألمانيا بعتتلي منه مرتين هلأ (فؤاد).

2.2 الاعتماد على الأصدقاء والجيران والمعارف والزبائن

يشكل الأصدقاء والجيران والمعارف الدرجة الثانية من مقدمي المساعدة الذين يلجأ إليهم الناس. غالباً ما يقدم كرم الأصدقاء فرصة

للراحة تشتدّ الحاجة إليها خلال اليوم:

زمان كنت إدفع حق قهوتي وقهوة جاري بالمحل إلي حدي كل يوم، هلأ مش قادر، هو بيعزمني أغلب الأيام (فؤاد).

رحت تحممت عند صاحبتي، طيب وبعدين؟ ما الك عين. يعني بعد ما خلصت ليفتلها الحمام من فوق لتحت ونشفته قلبته مثل الفلة. حسيت حالي كأني ماشية بالشارع مزلطة من خجلي منها (بيسان).

كما يساهم الجيران وأصحاب العقارات، خاصة في رأس بيروت، حيث يوجد التنوع الاجتماعي والاقتصادي داخل المبنى الواحد:

أول ما تصاوبنا بالإنفجار [من 30 سنة]، فرنك ما دفّعونا... [قبل ما يتوفى جارنا] فرنك ما دفّعنا. ضليت سنة، قال لي: ‹ما بطلّعك إلا لجرحك يرمم›. بس ابنه ما بيعرفنا متل أبوه. هو والله كان يطلع كل يوم يطلّ علينا وما دفّعني ولا فرنك. وزوجي طلع بدو جهاز لاجره وعكيزات (ياسمين).

وفي قصة مماثلة، ذكرت حليمة، وهي امرأة لبنانية تبلغ من العمر 50 عاماً وهي عاملة نظافة في مبنى في رأس بيروت، أن جيرانها عرضوا عليها المساعدة النقدية، بينما اعتنى أحد الجيران على وجه الخصوص بأدويتها طويلة الأمد (Alawieh, 2022).

بالإضافة إلى ذلك، يمكن للزبائن والمعارف أن يكونوا مصدراً لتوفير الحاجات العينية من جهة والمعلومات كتوفر فرص العمل:

مثلاً، منعرف صيدلي بيأمنلنا أدوية لما نحتاج. في كم حدا من رفقاتي بيخبرني عن وظائف وبساعدوني هيك (نورا).

يشارك المعارف أيضًا في العمل الخيري عندما يرون الحاجة عند شخص يعرفونه:

ممكن يشفق عليّ حدا ويقول هيدا إنسان منيح ويعطيني (100 ،200 [ألف]، وهيك)، بتصير كتعاطف أو صدقة (فؤاد).

2.3 الاعتماد على فاعلي الخير

العمل الخيري هو التبرع لقضية ما دون الحاجة إلى معرفة المستفيدين من التبرع شخصيًا. وترتفع التبرعات من الغرباء خلال المناسبات الدينية. وصف المختار كيف تسيري عملية التبرع:

بيجو لعندك ناس عالمكتب و- مش دايماً بيجيني مساعدات، برمضان أكثر شي مثلاً فمنوزع. أنا عندي حصص (quota) وببلش بالفقرا المعدومين. دايماً بقسم الحصص لا لأعطي حداً وينبسط وما أعطي حداً ثاني. هلأ بس أعطيهن، بعد مدة بتلفنلي بدّه [بيسألني]: «في شي مختار؟» شو بدي أعمل؟ هيدا الباب كمان بيزعج، إنه بيجيكي فترة فيها ضخ محسنين وكذا وبعدين بتوقف (المختار).

مرة إجاني من تركيا مصاري، وزّعتن. رحت لعند [فاعل الخير] وقلتله هاي الورقة باللي وزعتله معلومات وأرقام تليفون لريح بالي وكون شفاف. أنا هيك بشتغل مع الكل (المختار).

غالباً ما يكون الدعم على شكل شبكة من الخدمات بحيث يضطر الفرد إلى الإعتماد على عدة مصادر لكيلا يزيد العبء على مصدر واحد:

أول ما ضعف جوزي، [صار] بدو مكنات للأكسجين عالكهربا، الأوتيل عطانا شريط كرمال الموتير يضل مدوّر عطول. لما مات، شالوه، بس كتّر خيرن يعني. استأجرنا مكنة، والتانية وصلتنا من واحدة عم تعمل حسنة. الدنيا ما بتخلى من ولاد الحلال (ياسمين).

إنّ مساعدة الأشخاص الأقل حظًا، من وجهة نظر فاعلي الخير، يعتبر واجبًا مدنيًا وإنسانيًا. ذكرت منى، وهي أم عازبة وممرضة منزلية، أنها ساعدت الغرباء من منطلق الشعور بالواجب اتجاههم ووجوب التضامن معهم، على الرغم من أنها كانت تعاني مالياً بنفسها (Zaher, 2022a).

خلافاً لتغيرات نمط العيش، فإن استراتيجيات التكيّف التي تعتمد على الأفراد والمؤسسات توسّع شبكة التبعيّة لأبعد من الأسرة المباشرة، وتشمل مجموعة واسعة من المجموعات والمنظمات مثل المؤسسات الحكومية وغير الحكومية والمؤسسات الدينية والأسرة والأصدقاء والجيران والمعارف وفاعلي الخير والأحزاب السياسية. وتلعب الامتيازات الناتجة عن معرفة الأشخاص والمؤسسات الموجودة في السلطة دورًا كبيرًا في تحديد مدة استمرار الأزمة:

> الأفراد اللي عندهم شبكات اتصالات واسعة، لو كانوا رجال أو نساء، عندهم قدرة أكبر لتأمين الموارد للعالم اللي بيعتمدوا عليهم (لمى).

3. زيادة الاعتماد على المؤسسات

3.1 الاعتماد على المؤسسات الحكومية

يُلحظ وجود تردّد اتجاه التعامل مع المؤسسات الحكومية لاعتبارها غير مفيدة أو غير موثوقة:

> بشكل عام بلبنان العالم أول شي بتروح عند العيلة القريبة، دائرتهم الضيقة، وبعدين عند العالم لبيعرفوهن وبيعتبروهن رفقة، وبعدين أي خيار متاح... آخر خيار هو الدولة (لارا).

وتبين في مقابلاتنا أن المؤسسات الحكومية الأكثر طلباً هي مراكز الصحة الأولية:

> بس هلأ الدوا مش موفر، عم نروح عالمستوصف عم يعطينا كم دوا بس في اتنين مش عم نلاقيهن بمحل. بيخفف عننا بس عم نجرب نأمن الأدوية الباقية من جيبتنا (فؤاد).

> هلأ ما بقى عم روح عالجامعة، ما بقى في. بروح عند حكيم بالمقاصد، بعدين ما بقى عم روح كل شهر. قلتلو لا إبني بروح بالسنة مرة لأن معي السكري وحكيم القلب وصفلي دوا بعدني ماشية عليه. كان ياخد رخيص فروح لعنده، بعدين ما عدت روح (ياسمين).

3.2 الاعتماد على المؤسسات الدينية

من المعروف أن المؤسسات الدينية تساعد أعضائها ومكونات المجتمع الأوسع المحتاجة إلى المال والغذاء والخدمات. وغالبًا ما ترتبط الثقة بالمؤسسات الدينية بالثقة في أولئك الذين يترأسونها:

> عندي ثقة بالمفتي لأن بعرفه شخصياً، ما فيني أحكي عن غيره. هلأ بلش يشتغل منيح. عم يجيب مساعدات للفقراء (المختار).

وقد يطلب الناس المساعدة من المؤسسات الدينية إذا شعروا بالانتماء إليها، ولكن أيضًا في حال انتمائهم إليها بحكم الولادة، أي لأنهم ولدوا في هذا المجتمع. ومع ذلك، يتطلب على الأعضاء أن يكونوا مخلصين وأن يبقوا داخل دينهم عندما يتعلق الأمر بالزواج، وإلا فيواجهون خطر النبذ أو الرفض. توضح قصة بيسان كيف يؤدي عدم اتباع التوقعات التقليدية حول الزواج ضمن الطائفة إلى الاستبعاد من هياكل الدعم التي تقدمها المؤسسات الدينية:

> أنا مسيحية وجوزي الله يرحمه مسلم. لما كانوا أولادي صغار، كانوا يجوا من المدرسة إتركهن عند جارتي، كنت إشتغل للساعة 11 بالليل. إجي عالبيت لاقيهن نايمين. بقولولي حرام عليك بكرا ما فيك تضايني روحي خلي شي جمعية تساعدك. دلوني بطلعة الصنوبرة عجماعة بساعدوا. مجرد ما قرأت إسمي، قالت: « إيه، بدك تحضري صفوف دروس دين. والأفضل تتحججي إنت بس بنتك إجباري». قلتلها شكراً، إنت بالقوة بدك تخليني أعرف الله؟ [...] رحنا عالكنيسة قالولي: «ولو، إنت بتضلي بالكنيسة بالحدت، خليهن يساعدوك». رحت، قال عبي طلب ونحن منبقى منحكي معك. رح تخلص المدارس بحزيران وما حدا حكى معي. التقيت بشخص من اللجنة، قال لي من هني أولادك؟ قلت له «حسن وسحر»، قال لي «حسن؟!»، قلت له: « إيه، مش حلو إسم حسن؟»، قال لي: « بدك تروحي عند الاسلام يساعدوك» (بيسان).

3.3 الاعتماد على المؤسسات غير الحكوميّة

لقد دفع غياب الثقة بالحكومة والمؤسسات الدينيّة بالكثير من السكان للجوء إلى المؤسسات غير الحكوميّة وقبول المساعدة منها. وقد تم وصف لبنان، تيمّناً بالسابقة الهايتية، بجمهورية المنظمات غير الحكومية (Fawaz & Harb, 2020). وعندما سألناه عمّا إذا كان يثق بالمنظمات غير الحكومية، أجاب الصيدلي محمود بما يلي:

> إذا كانوا ما بيبغوا الربح، ليش لا؟ هني أساساً شغلتن يساعدوا. هي الدولة لازم مسؤولة عن كل شي، بس المشكلة اللي قاعد بالدولة هني ناس بيبغوا الربح. بيمتهنوا السرقة وما حدا عم يحاسبن (سالي).

كما يرى البعض أن المؤسسات غير الحكومية قد استبدلت الدولة ووظائفها بالكامل:

> بخصوص مؤسسات المجتمع المدني، بنظري أغلبهن أخدو محل الدولة بدون قصد، بس بسبب الأزمة. بشوف إنه بدرجة معينة عم يقدموا خدمات ضرورية. مثلاً، إعادة اعمار بيروت بعد الإنفجار صار بأغلبه من القطاع الخاص والقطاع اللي لا يبغى الربح. حتى بالنظر لمشاريع الطاقة الشمسية بالمناطق الريفية ممولين من المنظمات غير الحكومية وغيره. إيه عم يقدموا اللي الدولة ما قدرت تقدمه (ماهر).

وقد تلقّى سكان راس بيروت تبرعات من المنظمات غير الحكومية على شكل حصص غذائية وأدوية. بعد ملء استبيان لمنظمة غير حكومية عند زيارة أحد المتطوعين، تلقت حليمة صناديق طعام تحتوي على المواد الغذائية الأساسية مثل «الأرز والسكر والعدس والمعكرونة والحليب والمعلبات، وحتى بعض الفواكه والخضروات» كل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع (Alawieh, 2022: 9). في رأس بيروت، يتلقى بعض السكان المساعدات من الجامعات القريبة:

> كنا نبقى نروح عالجامعة، هلأ عاملنلي 300،000 ليرة بالجامعة (ياسمين).

ولكن تلقي المساعدات من المؤسسات غير الحكوميّة لا يخلو من الممارسات الفاسدة أيضاً:

> في صبية بعرفها بتشتغل بنجو، بساعدوا العالم بس كمان بدلوهن عمحلات معينة. مثلاً، بيعطوا بونات للعالم الفقرا ليشتروا فيهن أكل، بدلوهن ليشتروا غراض من عند بيها. بيعطوا دولارات لبيها (بيسان).

3.4 الاعتماد على الأحزاب السياسية:

تتخذ المساعدات المقدمة من الأحزاب السياسية الكثير من الأشكال بما فيها المساعدات العينية والرشاوى المالية والمحسوبية (واسطة). وما تحصل عليه الأحزاب السياسية في المقابل هو ولاء المستفيدين من المساعدات الذي يأتي مثلاً على شكل التصويت في الانتخابات. كما يتمّ تشجيع متلقي المساعدات على دعم الأحزاب في الفعاليات والمظاهرات (أو عبر عدم المشاركة في التظاهرات أو الحركات الجديدة التي تنتقدهم). ومن المعتاد أيضًا أن يغضّ متلقي المساعدات النظر عن السلوك السياسي للأحزاب المانحة التي قد تتعرض للانتقاد لولا ذلك:

> [الأحزاب السياسية] بأمنوا وظائف ليجوا ينتخبوهن أو إذا مش لينتخبوهن ليغطوا على معاملات من جوا. [...] [السياسيين عندن] دور خدماتي طائفي محاصصاتي. بالنسبة إلي ما بيلعبوا دور سياسي، بس هني ذكايا كتير، أذكى بكتير منا حتى. عارفين حالن كتير منيح شو عم يعملوا. دورن معروف كتير، هني عم يقسموا القصص مثل ما بدن لمصالحهن الخاصة. [...] إذا بدك هني درسوا السايكولوجيا والحالة الإجتماعية تبعنا وعم يشتغلوا عهالأساس. بيتركونا لحتى نوقع ليكونوا هني عم يلموا. حتى لما نوقع وما بدن يلموا بيبرروا لحالن كيف. فهني ما عندن دور سياسي. السياسة هي وسخة بشكل عام بس هي مش مفروض تكون هيك (كارن).

3.41 الرشاوى في الحملات الانتخابية

أصبحت رشوة الناخبين قبل الانتخابات ممارسة شائعة. تمتثل بعض العائلات لهذه الرشاوى لأنها تحتاج إلى كل المساعدات التي يمكنها الحصول عليها. المقتطف التالي من المقابلة مع ياسمين يوضح هذه النقطة:

> ياسمين: بالإنتخابات، طلعلي 500،000 من [مرشح]. ما أنا بحاجة لمصاري، كمان الإنسان ما في يعيش بلا مصاري.

ظاهر: إنتخبتي لهيدا المرشح؟
ياسمين: إيه، ول [مرشح تاني] كمان.
ظاهر: وكان بدك تصوتي ل [المرشح التاني] أو كمان قدملك شي؟
ياسمين: لا، عطاني 500،000 حرام. أنا كنت ابقى صوت ل [سياسي ما ترشح هالمرة]. لما كذب عليك، بحب [هالسياسي]... بس طول ما عايزة مصاري، بدي صوت، لو قد ما عطوني. هلأ صوتت أو ما صوتت، إلي بدهن إياه بطلعوا.

3.42 المساعدات العينية

رغم أنهم لا يثقون باستمرارية وديمومة المساعدات المقدمة من الأحزاب السياسية، يقبل العديد من الأفراد المساعدات العينيّة منها:

الحزب المسؤول بمنطقتي [بالبقاع] زاروني كذا مرة، اطمنوا علي، سألوا إذا ناقصني شي، وحتى جابولي اغراض بحتاجها وأكل آكله. فعندي ثقة فيهن نوعاً ما عشان بساعدوا بالمنطقة وساعدوا وقت كورونا. بس من ناحية ثانية ولو اعتبرنا إنه السنة الماضية ساعدني سياسي، بتعتقدي إنه رح يساعدني بكرا؟ أكيد لا! (فؤاد).

لما [السياسي المعروف] شاف الأزمة، برم عكل الضيع وأعطاهم مازوت، وقمح وغيره. الزلمي بندوق (ذكي). [...] أمها لمرتي بـ[إحدى الضيع] وهي [مش من الطائفة الغالبة هناك]. مر عليها جماعة [الحزب السياسي]. قالت لهم مرتي انها مش من الحزب، قالوا لها ما دام قاعدين عنا مثلك مثل أي حدا ثاني بيجي مساعدات (المختار).

3.43 المساعدات الخدماتية

في بلد صتعجز فيه الحكومة عن تأمين إمدادات مستقرة يعتمد عليها من الماء والكهرباء، يلجأ السكان إلى الأحزاب السياسية لتأمين المساعدات على أساس فردي على غرار المستوى الوطني:

من جمعتين، وقفت الماي بالمنطقة كرمال انتزع القسطل. حكينا الكل، ما صار شي. فجأة، نزل سياسي بنفسه وصلّحه بوجود جمهور بس ليبين إنه عمل شي (فؤاد).

[في حزب سياسي بالمنطقة] مادنلي شريط كهربا وما بياخدوا مني. ابني عنده سيارة صغيره للدلفيري. إذا حدا بده شي، [الحزب السياسي] مثلاً، إنو بجبلن اشيا، أوراق، هو بجيبن وهني بيدفعوله (ياسمين).

ومع انهيار القطاع المصرفي والبنية التحتية المالية، كانت العلاقات مع الأحزاب السياسية مفيدة لاستعادة الأموال العالقة في المصارف:

العالم اللي علقانة مصريّاتها بالبنوك عم يروحو عند السياسيين وزعمائهن لياخدوا مصرياتن (مجد).

3.44 الوظائف

بحسب الاستطلاع الذي أجريناه، فإن 75٪ من سكان رأس بيروت مقتنعون بأن الحصول على الوظيفة يتم في كثير من الأحيان من خلال التفضيل أو الواسطة. بالغالب ما يحصل هذا التفضيل بفضل العلاقات السياسية من خلال ما يسمى بالمحسوبية حيث تولّد الخدمات المقدمة من الأحزاب السياسية ولاءً غير مشروط. تكررت هذه الفكرة كثيراً في المقابلات كما أنها نقد شائع للثقافة السياسية اللبنانية يستخدمه الأفراد للتعبير عن خيبة أملهم تجاه النظام:

سنوات خبرتك وشهاداتك ما الها قيمة إذا ما كنت منتمي لحزب سياسي... المخرجين جديد بيتوظفوا بمناصب بدها سنوات خبرة بس بسبب انتمائهم السياسي اللي بيعطيهم أفضلية (ناريمان).

بالشغل مثلاً، مدير الشركة بيضطر يعمل قصص لو منه مقتنع فيها بس لأن عليه ضغوط سياسية. في كمان الزيارات وتبييض الوج اللي بيصير بين الكبار (نورا).

3.45 «التضامن» الاجتماعي وحل النزاعات

وأخيراً، تقدم الأحزاب السياسية الدعم المعنوي للأحياء، خصوصاً خلال الأوقات الصعبة، كمظهر للتضامن ودليل على الاهتمام:

بتشوف السياسي عم يزور العيل بالمنطقة لمّا يتوفالهم حدا. [...] بيعملوا هيك لحتى العالم ما تنسى انهم موجودين ليصوتولن بالانتخابات الجاي. [...] في منن بجيبو اولادهم معن ليحضرولن الشعبية اللازمة ليورّته المنصب (فؤاد).

كما أنهم يساهمون في حل النزاعات على المستوى الشخصي:

منشوف عالم عم تلجأ للسياسيين ليأمنوا مساعدات مالية، أدوية، عمليات بالمستشفى، ولحل الخلافات مع صاحب المولّد بالحي (ماهر).

الخاتمة: عبارات خيبة الأمل

أدّت الضغوطات الناجمة عن الأزمة الاقتصادية التي أثرت على سبل عيش الناس، والاستراتيجيات التي اضطروا للتكيّف معها، إلى تأثير عميق على تجارب المواطَنة والعلاقات مع الأطراف السياسية المعنية. وترتكز هذه الاستراتيجيات إما على التضامن أو على علاقات القوة الهادفة لتعزيز التبعيّة، حيث يكون من الصعب أحياناً تبيان أين تنتهي أحدهما وتبدأ الأخرى، إذ إنّ ذلك يعتمد على السياق، بالإضافة إلى نوايا وتوقعات المشاركين. وقد تم التعبير عن حدّة معاناة الناس في عدة محاور متعلقة بتفاقم الاحباط حول الانحدار الاجتماعي والسياسي. فانمزجت تعابير خيبة الأمل مع قصص الناس عن حياتهم وسبل عيشهم، ما يظهر كيفيّة فهم الأفراد لضغوطات التأقلم بكونها تقع في سياق أوسع، يتضمن الجهات الفاعلة والمؤسسات المسؤولة عن التدهور. وكانت هذه التعابير نقديّة بدرجة عالية، ما يشير إلى أنّ الأزمة، وأولئك المسؤولين عنها، قد حرموا سكان لبنان من استقلاليتهم وكرامتهم. فكان المتهمون هم السياسيون والشبكات السياسية والمحسوبية. ولم يكن ذلك نتاج تفاقم الأزمة تحت رقابة النخب السياسية المتشبّثة فقط، ولكن بسبب ثقافة الواسطة والمحسوبية السياسية، وتآكل خدمات الدولة المصحوب بالظلم، والذي عانى منه الأفراد في تجاربهم اليومية للحفاظ على سبل العيش. وقد جعل ذلك من العيش الكريم واقعاً صعباً ويتضمن إفلات الأحزاب السياسية من المحاسبة، وقَسَم الولاء لها مقابل تقديمها للخدمات. خذ على سبيل المثال الادّعاءات التالية:

[بالإشارة إلى حكمة «أعطِ الإنسان سمكة»...] السياسيين عنّا بيعطوا رغيف خبز، مش سمكة، فشروا. حتى بس ياكل [الإنسان] ويجوع، يرجع يجي يركعله عباب بيته. هيدا إذلال، واللبناني أبي النفس ما بعيش مذلول. بس عشوي، في ناس بدا تبلش تركع، أنا وحدة منن. أنا بقول لا، بس شكله جاي وقت أنا خلص بدي استسلم. ما بقى في... والمحسوبيات. أنا ما ترقيت، عشت كل عمري لا وشيت لمدير عرفقاتي ولا عالموظفن تبعي ولا صاحبت حدا ولا عملت شي من هول كلن. اللي اجت ما إلها 4-5 سنين، معاشها أكبر من معاشي اللي إلي 35 سنة. أنا ما عملت اللي هي عملته ولا بقدر أعمله، ما بيطلع بإيدي لأن أنا مش هيك (بيسان).

المشكلة هون إنه هيدا عندن أسلوب لإخضاع العالم بإنه يلهوك بلقمة العيش؛ إذا جوعتك ووظفتك لما تحتاج لوظيفة، مع إنه بكون الواحد عنده شهادة وواصل ويمكن بالنهاية كفائته ممكن توصله. بيجبروك تفوت بشي إنت منك مقتنع في، فالواحد لازم يستفيد منن ويتركن لما يحط اجره صح. (سالي)

أنا هالانتخبات قلتله أنا بشتغل معك، ما ببيعك صوتي. كان بدن يعطوني مصاري مقابل صوتي، ما قبلت. كمان قلتلهم إنو في كم حدا من عيلتي ممكن يصوت، بس أنا مش رح إشتغل عالموضوع. كلهم عصابة وحدة (ياسمين).

العالم اللي بالسلطة بيعطوا العالم اللي بيعتمدوا عليهن جزء بسيط من الخدمات ليضلوا بحاجة الن (نورا).

شي حزين إنه حتى بهالقصص اللي نحن مفروض إنه نلجأ للدولة فيها، عم نوصللن كواسطة مش كأن نحن مواطنين عاديين عم نطلب طلب طبيعي. بيعملولنا الطلب, بس بدك تتوسطي لتوصليله (آدم).

وقد أدى عجز الحكومة عن توفير سبل العيش اللائقة والخدمات العالية الجودة إلى زيادة كمية الخدمات والمساعدات المقدّمة من المنظمات غير الحكومية. لكن هذه المنظمات لم تكن موثوقة كذلك، حيث عبّر المشاركون في بحثنا عن شكوكهم فيما يتعلق بالدوافع والأجندات الخفيّة التي قد تكتنزها هذه المنظمات:

أكيد ما بتخلى، في ناس أوادم بس هي بترجع للعالم ولجمعيات: من وين مصادر الأموال؟ شو هدفن؟ شو استراتيجيتن؟

(سالي).

في كتير مؤسسات مش حكومية بتساعد بهيك قصص. بس بدنا نحكي كجنوب بالأخص، في كتير عالم ما بتوثق فيهن، وفي كمان من الناحية السياسية (المقاومة) بيخافو كتير يكونو صهيو-أميركيين، بس ببيروت في كتير عالم بيطلبوا من هالهيئات (آدم).

لو ما الدولة مقصرة، هني ما إجوا فاتوا. لما بالعيلة بالبيت في مشكل وينحل ضمن البيت، الغريب ما بفوت، لأن هني تركوا ثغرات، إجوا ال NGOs فاتوا. أنا هول ما بلومن، بلوم الأساس، هو اللي غلط والسبب بجيبتن لهون. لو إنت قايم بواجبك، هيدا ما فات لعندك، بس عندن مصالحن وهني بدن يحققوا مصالحن. في محلات في إفادة، بس في ثغرات (بيسان).

تشير هذه التصريحات المليئة بخيبة الأمل والشك إلى أن استراتيجيات التكيّف التي اعتمد عليها الناس لم تعتبر وسائل لإنتاج الموارد بهدف تحسين جودة الحياة، بل اعتبرت أعباءً فُرضت ظلمًا على السكان. ولواقع أن السرديات قد طالت السياسيين والمنظمات غير الحكومية أهمية بالغة، إذ أنه يوضّح الطبيعة السياسية السائدة في الصراعات اليومية لتأمين الموارد الأساسية التي ينبغي أن تأمنها الدولة. في الواقع، فإنّ ضعف المؤسسات يشكل معضلة عالمية يسلّط الضوء عليها باحثوا عالم الجنوب وعالم الشمال على حد سواء (Kalia 2022, Melios 2020, Woodcraft et al. 2023). وفي رأس بيروت اللبنانية، يُظهر انتقاد الأحزاب السياسية وثقافتها الزبائنية كيف تتشابك السياسة الداخلية مع سبل العيش؛ وبدوره، يظهر انتقاد المنظمات غير الحكومية أنّ الواقع الجيوسياسي الدولي يلعب دورًا في سبل العيش وتوفير الخدمات أيضًا. ومع ذلك، فان انتشار هذه الانتقادات لا يعني أن الأحزاب السياسية فقدت ثقة ودعم ناخبيها بشكل كامل، ونحن بدورنا نعلم أن الأحزاب التقليدية تهيمن على المشهد السياسي اللبناني رغم كل هذه الخيبة. ويعود دعم و/أو انتقاد الأحزاب السياسية التقليدية لعدة أسباب معقدة، إذ من المعتاد أن يقدم الأفراد دعمهم للزعماء السياسيين وأن ينتقدوهم في الآونة نفسها. وهنا، لا تقع قدرة (أو غياب قدرة) الأحزاب على تأمين فرص معيشة كريمة وحدها في صلب الموضوع، بل يضاف إليها مخاوف مزمنة حول الصراعات الداخلية والخارجية، والأمن والهويات السياسية والتغيير السياسي (Zaher, 2023). كما أننا نعلم أن المنظمات غير الحكومية متجذرة في النظام الاقتصادي اللبناني، بفضل التمويل الذي تُدخله إلى البلاد والخدمات التي تقدمها في غياب التقديمات الحكومية. فيستفيد الأفراد من خدمات المنظمات غير الحكومية بحكم الظروف، بالرغم من شكوكهم حولها وانتقادهم لها. وبشكل عام، اشتكى الناس من تفاقم اعتمادهم على المؤسسات بسبب خدماتها التمييزية وغير الموثوقة وغير القابلة للانتقاد، فضلاً عن كونها تعزز إفلات المانحين من المحاسبة (إما نتيجة الولاء أو الأجندات التي تفرضها المساعدات على المستفيدين)، وعمومًا لأنه يقوّض دور الدولة ويولّد نزاعًا بين المستفيدين. كما يُنظر إلى قبول المساعدات من المؤسسات على أنه تنازل عن القيم الأخلاقية والكرامة.

لقد تحول المشهد السياسي في لبنان والمنطقة بشكل جذري منذ فترة جمع البيانات الواردة في هذا المقال نتيجة للحرب الإسرائيلية على غزة وردة الفعل الدولية عليها. لقد أدّى الدعم الدولي للقصف الإسرائيلي المكثف، وخاصة من الحكومات الغربية، إلى تجديد الأسئلة حول الجيوسياسية الاستعمارية وكيف ينبغي أن يكون شكل الحكم والسيادة في لبنان والمنطقة. في فترة كتابة هذا التقرير، تبقى عواقب هذه الحرب على استراتيجيات سبل العيش المستقبلية وسياسات الانتعاش الاقتصادي ودعم الأحزاب السياسية التقليدية بعيدة عن الوضوح. وبغض النظر عن المسارات المستقبلية، فإنّ الضغوط التي سلّطنا الضوء عليها في هذا التقرير، واستراتيجيات التكيّف التي تصحبها، ستبقى قائمة ما لم تتمّ معالجتها بشكل مباشر. ومن المرجّح أن تستمر أشكال خيبة الأمل السياسية أيضًا، حتى ولو حُجب التعبير عنها بسبب اعتبارات أخرى مثل الحرب على غزة وعواقبها. وسيبقى الوضع على حاله حتى يتمّ تخفيف الضغوط على سبل العيش والخدمات، جزئيًا على الأقل، بطريقة عادلة توفر للأفراد سبل العيش والخدمات التي يحتاجونها من أجل العيش باستقلالية وكرامة.

المصادر

Alawieh, Z. (2022, November). On the Brink in Ras Beirut: An Ethnography of Livelihood Struggles Amid Economic and Political Discord (Working / discussion paper). UCL Institute for Global Prosperity: London, UK. (2022); UCL Institute for Global Prosperity. https://www.ucl.ac.uk/bartlett/igp/publications-1

Amnesty International. (2023, February 9). Lebanon: Government must address medication shortages /02/and healthcare crisis. Amnesty International. https://www.amnesty.org/en/latest/news/2023/lebanon-government-must-address-medication-shortages-and-healthcare-crisis/

Assouad, L. (2023). Rethinking the Lebanese economic miracle: The extreme concentration of income and wealth in Lebanon, 2005–2014. Journal of Development Economics, 161, 103003. https://doi.org/10.1016/j.jdeveco.2022.103003

Diab, J. L. (2022). Understanding Remittances as a Coping Strategy amidst Lebanon's Crises: Opportunities and Challenges for Aid Actors. Mercy Corps, Lebanon Crisis Analytics Team. https://www.academia.edu/83143940/Understanding_Remittances_as_a_Coping_Strategy_amidst_Lebanons_Crises_Opportunities_and_Challenges_for_Aid_Actors

El-Ghali, H. A., & Baalbaki, N. (2017). PERSPECTIVES ON POLICY-MAKING: Issam Fares Institute for Public Policy and International Affairs. https://scholarworks.aub.edu.lb/bitstream/wfd.pdf?isAllowed=y&sequence=1_20161701/21231/handle/10938

Fawaz, M., & Harb, M. (2020). Beirut Urban Lab—Is Lebanon Becoming Another "Republic of the NGOs"? @BeirutUrbanLab. http://beiruturbanlab.com/en/Details/697

Gharib, B., Mintchev, N., Jallad, M., & Daher, M. (2023, August 14). The Politics of International Assistance in Lebanon: An Evaluation of the IMF's Loan Conditions as a Pathway to Inclusive Growth (Working / discussion paper). UCL Institute for Global Prosperity: London, UK. (2023); UCL Institute for Global Prosperity. https://www.ucl.ac.uk/bartlett/igp/publications/working-papers

ILO. (2022, May 12). Lebanon and the ILO release up-to-date data on national labour market (Press release). http://www.ilo.org/beirut/media-centre/news/WCMS_844831/lang--en/index.htm

Jallad, M., & Mintchev, N. (2019, December 13). Too Close for Comfort: Citizen Social Science and Methodological Innovation in Hamra, Beirut (Digital scholarly resource). Https://Www.Jadaliyya.Com/Details/40376/Too-Close-... <https://Www.Jadaliyya.Com/Details/40376/Too-Close-for-Comfort-Citizen-Social-Science-and-Methodological-Innovation-in-Hamra,-Beirut>; Jadaliyya. https://www.jadaliyya.com/Details/40376/Too-Close-for-Comfort-Citizen-Social-Science-and-Methodological-Innovation-in-Hamra,-Beirut

Jallad, M., Mintchev, N., Pietrostefani, E., Daher, M., & Moore, H. (2021). Citizen social science and pathways to prosperity: Co-designing research and impact in Beirut, Lebanon. International Journal of 13645579.2021.1942664/Social Research Methodology, 25, 1–14. https://doi.org/10.1080

Kalia, S. (2022). The Populist Rage. Seriously Different. https://seriouslydifferent.org/igp-stories/the-populist-rage

Majzoub, A., Root, B., & Simet, L. (2023). “Cut off from life itself”: Lebanon’s failure on the right to electricity. Human Rights Watch.

Melios, G. (2020). Europe in crisis: Political distrust, corruption and austerity. Institute for Global Prosperity.

Mintchev, N., Daher, M., Jallad, M., Pietrostefani, E., Moore, H., Ghamrawi, G., Harrache, A., Majed, A., & Younes, Y. (2022). Sustained Citizen Science From Research to Solutions: A New Impact Model for the Social Sciences. International Journal of Qualitative Methods, 21, 160940692211332. https://doi.16094069221133232/org/10.1177

Mintchev, N., Baumann, H., Moore, H. L., Rigon, A. and Dabaj, J. (2019) Towards a Shared Prosperity: Co-designing Solutions in Lebanon’s Spaces of Displacement, Journal of the British Academy, 7(s2): 135-109.

Moore, H. (2021, January 5). Reinvigorating local economies through Universal Basic Services, not income. UCL Institute for Global Prosperity. https://www.ucl.ac.uk/bartlett/igp/news/2021/jan/reinvigorating-local-economies-through-universal-basic-services-not-income

Moore, H., & Boothroyd, A. (2023, February). Social Protection for the 21st Century: Towards a New Politics of Care (Working / discussion paper). UCL Institute for Global Prosperity: London, UK. (2023); UCL Institute for Global Prosperity. https://www.ucl.ac.uk/bartlett/igp/publications-1

Moore, H., Davies, M., Mintchev, N., & Woodcraft, S. (Eds.). (2023). Prosperity in the Twenty-First Century: Concepts, models and metrics. UCL Press. https://www.uclpress.co.uk/products/211175

Moore, H., & Mintchev, N. (2023). What is prosperity? In Prosperity in the Twenty-First Century. UCL Press. https://www.uclpress.co.uk/products/211175

UNOCHA. (2023, April 30). Lebanon Emergency Response Plan 2023 | OCHA. https://www.unocha.org/publications/report/lebanon/lebanon-emergency-response-plan-2023

Woodcraft, S., Collins, H., & McArdle, I. (2023). Rethinking livelihood security: Why addressing the democratic deficit in economic policy making opens up new pathways to prosperity. In Prosperity in the Twenty-First Century (pp. 105–126). UCL Press. https://www.uclpress.co.uk/products/211175

Zaher, R. (2022a). Bank Hold-Ups in Lebanon: A Crisis of Morality? PROCOL Lebanon. https://www.relief-centre.org/blog/bank-hold-ups-in-lebanon-a-crisis-of-morality

Zaher, R. (2022b). Embodied Experiences, Troubled Livelihoods: Ethnographic Observations from Ras Beirut (Working / discussion paper). (Lives and Livelihoods in Turbulent Times). UCL Institute for Global Prosperity: London, UK. (2022); UCL Institute for Global Prosperity. https://www.ucl.ac.uk/bartlett/igp/research/publications

Zoughaib, S., & Saghir, C. (2022). The Policy Initiative—Why Lebanon Does Not Have a Pension System. The Policy Initiative. https://www.thepolicyinitiative.org/article/details/209/why-lebanon-does-not-have-a-pension-system

Zaher, R. (2023, June 6). The 2022 Lebanese Parliamentary, Elections: Between Traditional and Alternative Politics (Working / discussion paper). UCL Institute for Global Prosperity: London, UK. (2023); UCL Institute for Global Prosperity. https://www.ucl.ac.uk/bartlett/igp/publications/working-papers

Zoughaib, S., & Saghir, C. (2022). The Policy Initiative—Why Lebanon Does Not Have a Pension System. The Policy Initiative. https://www.thepolicyinitiative.org/article/details/209/why-lebanon-does-not-have-a-pension-system

ملحق: ملخص المقابلات

الاسم المستعار	العمر	Gender	منطقة الأصل	الحالة الوظيفية	التاريخ	المصدر
كارن	20s	F	جنوب لبنان	موظفة	25 آذار 2022	المقابلات التي أجريت لمشروع "شبكات سبل العيش والتجربة السياسية في بيروت، لبنان" الممول من AHCR-MENASP
نورا	20s	F	شمال لبنان	موظفة	17 آذار 2022	
آدم	20s	M	النبطية	تلميذ عاطل عن العمل	25 أيار 2022	
لارا	50s	F	بيروت	موظفة	16 حزيران 2022	
مجد	30s	M	بيروت	صاحب عمل	18 آب 2022	
فؤاد	60s	M	البقاع	صاحب عمل	10 آب 2022	
سالي ومحمود	F(50s) M(60s)	F+M	غير مذكور	أصحاب عمل	17 آب 2022	
جاد	20s	M	بيروت	موظف	14 أيلول 2022	
ياسمين	80s	F	بيروت	عاطلة عن العمل	15 تشرين الثاني 2022	
ماهر	20s	M	النبطية	موظف	28 أيلول 2022	
بيسان	70s	F	غير مذكور	عاملة مستقلّة	4 تشرين الثاني 2022	
المختار	60s	M	بيروت	موظف قطاع عام	6 تشرين الأول 2022	
حليمة	50s	F	غير مذكور	موظفة	حزيران وآب 2021	
ناريمان	40s	F	غير مذكور	عاطلة عن العمل وربّة منزل	نيسان وآب 2021	
نهلة	30s	F	غير مذكور	موظفة وعاملة مستقلّة	نيسان وآب 2021	
وسام	20s	M	غير مذكور	صاحب عمل وموظف	حزيران وأيلول 2021	(Alawieh, 2022)
لمى	50s	F	جنوب لبنان	موظفة	تموز وآب 2021	
منا	70s	F	جنوب لبنان	عاملة مستقلّة	حزيران وآب 2021	
ديانا	20s	F	سوريا	ربّة منزل	أيار وأيلول2021	(Zaher, 2022a)

شكر وتقدير

البحث الخاص بهذا التقرير مدعوم من عدد من المموّلين: شبكة AHRC/MENASP من خلال مشروع «شبكات سبل العيش والتجربة السياسية في بيروت، لبنان» (AH/T008067/ 10)؛ ومؤسسة ليفرهولم (Leverhulme) من خلال مشروع «دعم استقرار وازدهار الاقتصاد الكلي في عصر النزوح الجماعي: إعادة التفكير في الوظائف وسبل العيش» (PRG-2019 - 326)؛ ومجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية من خلال مشروع «الإغاثة/ ريليف 2» (ES/W007835/ 1). المؤلفون ممتنون جدًا لدعم المموّلين السخي.

كما تُقدَّر المساهمات والجهود الفكرية الثمينة التي قدمها عدد من الأفراد في هذا التقرير. نودّ أن نعبر عن شكرنا الخاص لـ زينب علوية، مريم ضاهر، بلسم غريب، ديالا مكي، جورج ميليوس، إليزابيتا بيتروستيفاني، يارا سليمان، وهنريتا ل. مور. كما نودّ أن نعبر عن امتناننا لفريق الباحثين المحلّيّين في رأس بيروت، الذين أجروا استطلاعات الرأي لمشروع سبل العيش في رأس بيروت.

Institute for Global Prosperity

للتواصل

www.ucl.ac.uk/bartlett/igp www.seriouslydifferent.org www.prosperity-global.org

@instituteforglobalprosperity @ProcolLebanon

@glo_pro @PROCOL_Lebanon

@glo__pro

igp@ucl.ac.uk

PROCOL
المختبر التشاركي للإزدهار
Lebanon

UCL